والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبدالملك ان يكتب له مناقب عثمان ومساوي علي اخذ كتاب هشام وألقمه عنزاً كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك (ابن خلكان ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراوية الذي دون المعلقات وله المكانة الكبرى في الادب والشعر كان عبداً اسود وكانت ملوك بني امية تقدمه وتؤثره وتستزيره كما ذكره ابن خلكان

وهذا سالم بن عبدالله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة هشام بن عبدالملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة آلاف ثم لما حج ورجع كان سالم اذ ذاك مريضاً فذهب لعيادته ولما توفي صلى عليه وقال لا ادري بأي الامرين أنا أسر : بحجتي ام بصلاتي على سالم ؟ ولو اخذنا في تعداد امثال هذه الوقائع لطال الكلام ومل الناظرون

ويظهر مما مر عليه ان الموالي كانوا في ايام بني أمية بلغوا محلا من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدي بهم وترفع شأنهم ، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالي وابناء الاماء كانوا في عصر بني امية مرذولين ساقطين يزدرى بهم ولا يقام لهم وزن وكان العرب وبنو أمية يعاملونهم معاملة العبيد ؟

(لها بقية)

القرابين والضحايا في الاديان

﴿ للدكتور محمد توفيق صدقي ﴾

(الطبيب بسجن طره)

كثر لغط المجلات التبشيرية النصرانية في هذه المسألة مفسرين لها بحسب أهوائهم وأغراضهم زاعمين أن وجود الذبائح والقرابين والضحايا في الاديان عموما وثنية كانت أو إلهية هو رمز لذبيحتهم المظمى وهو صلب المسيح بحسب اعتقادهم

عجيب أمر هؤلاء القوم ! ! فانهم منذ نشأتهم في العالم لما لم يجدوا لهم برهانا عقليا أو نقليا على إثبات دعاويهم وعقائدهم عمدوا الى طريقة هي من الغرابة بمكان عظيم . وذلك أنهم نظروا في كتب من سبقهم من بني اسرائيل وغيرهم فعرفوا

لمعض ما فيها من النصوص او الشرائع والقصص وغير ذلك ثم اخترعوا للمسيح صلى الله عليه وسلم (١) ماشاءوا من الحوادث التي قد يكون لبعضها أصل تاريخي صحيح مراعين في ذلك أن يكون هناك شيء من التشابه بين مايدعون وبين ما يوجد من النصوص في كتب المتقدمين ليتخذوا ذلك دليلا على صحة دعواهم أن السابق إشارة أو رمز إلى اللاحق مما يلفقون . ولم نجد لهم دليلا على عقيدة من عقائدهم سوى هذه الطريقة التي ملأوا الدنيا بها صياحا وعويلا مدعين أن كل ماسبقهم من الكتب هو تمهيد أو رمز الى دينهم وأن كل شيء خلق لاجلهم مع أن جميع الامم التي سبقتهم لم يكن يخطر على بال أحدمنها أن ماعندهم من الشرائع رمز لدين آخر

لا يظن القارىء أني أنكر بذلك النبوات والبشائر التي وردت في كتب الانبياء السابقين إخبارا عن الانبياء اللاحقين اذا كانت صريحة في ذلك، ولكن الذي أنكره على النصارى هو أنهم جعلوا كل شيء في أديان من سبقهم حتى من الوثنيين رموزا للمسيح عليه السلام مع أن بعض هذه الرموز المزعومة ربما لا يكون لها أدنى علاقة به ولا بتاريخه عليه السلام وإنما هو التحكم يجعلهم يتوهمون أنها تنطبق عليه ولولا ذلك ماخطر على بال أحدهذا الانطباق البعيد العجيب ، فتراهم مثلا يجعلون خروج بني اسرائيل من ارض مصر إشارة الى حضور المسيح فيها ورجوعه منها الى بلده (راجع متى ٢ : ١٥ وهوشع ١١ : ١) وفي الاناجيل من مثل ذلك كثير . ولله در السيد جمال الدين الافغاني حيث قال ما معناه (ان مؤلفي العهد الجديد قد فصلوا قميصا من العهد العتيق وألبسوه لمسيحهم)

هذه مسألة الضحايا والقرابين في الاديان لها فيها معان وأغراض أخرى ولكن يتحكم النصارى فيها ويدعون أنها رمز الى (صلب المسيح) . وانبين هنا

(١) حاشية : الاظهر أن لفظ المسيح كما قال صاحب المنار علم على عيسى بن مريم ولذلك قال تعالى (اسمه المسيح عيسى بن مريم) ومعنى المسيح الملك الممسوح لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم واللفظ اذا اطلق علما على شخص لايجب أن يتحقق مدلوله في هذا الشخص فاذا سميت رجلا (صادقا أو سلطانا) فلايجب أن يكون صادقا ولا سلطانا فلا عجب اذا سمي عيسى بهذا الاسم وان لم يمسح ملكا وهو أفضل من ملوك الارض وسلاطينها وأكثرهم تابعا

كيف أنه لايوجد أدنى انطباق أو أي علاقة بين هذه المسألة وبين مسألة الصلب فنقول : ـ

(١) إن الضحايا والقرابين موجودة في جميع الاديان حتى الوثنية منها من قديم الازمان فاذا سلمنا أن مايوجد منها في الاديان الالهية هو اشارة الى المسيح عليه السلام فكيف نفسر وجودها في الاديان الوثنية وهي لاتعرف المسيح ولا دينه؟! سيقولون ان الاديان الوثنية لها أصل صحيح وكانت فيها قديما هذه المسألة رمزا الى المسيح ولما طال الزمان نسي الناس ذلك . ونقول كيف تتفق الامم في جميع الازمنة وفي جميع بقاع الارض على نسيان ذلك وهو كما يزعم النصارى أساس الدين كله ؟

وكيف لا يوجد أدنى أثر في كتبهم أو معتقداتهم على أن الاصل في الذبائح هو الرمز للمسيح وهو أمر لم يخطر على بالهم ؟ وهب أن جميع الامم الوثنية نسيت ذلك فكيف نسيه بنو اسرائيل وأنبياؤهم وهم أقرب الناس الى المسيحيين ؟ وكيف لايوجد في كتب العهد العتيق المسلمة عند النصارى تصريح بهذه المسألة العظمى التي كان يجب أن تذكر صريحا في كل كتاب من كتب الانبياء السابقين ؟ وأن يخبروا أممهم بأن القرابين جميعا والذبائح ليست مقصودة بالذات بل هي اشارة الى ذبيحة كبرى ستأتي بعد ؟!

(٢) اذا سلمنا أن الذبائح كانت اشارة الى هذه الذبيحة الكبرى (صلب المسيح) فماذا يقولون في القرابين الاخرى التي لم تكن من جنس الذبائح وهي كثيرة في الشريعة الموسوية كالمحرقات التي تقدم من ثمار الارض ومن الدقيق والزيت واللبان والفريك وغيرها مما كان يحرق بالنار قربانا للرب ورائحة لسروره كتصوير التوراة

(٣) اذا سلم أن الذبائح اشارة الى الصلب فالى أي شيء يشير إحراق نفس الذبائح كلها أو بعضها بالنار ؟ فهل أحرق المسيح بها !!

(٤) كيف يكون الذبح اشارة للمسيح عليه السلام مع انه مات صلبا على قولهم لا ذبحا أي انه لم يهرق دمه حتى يموت بنزف الدم بل ظاهر عبارتهم أنهم اكتفوا

بتعليقه على خشبة الصليب بثقب يديه ورجليه فقط ولم يكسروا عظما من عظامه (يوحنا ١٩ : ٣٦) فاذا لم يرد في الاناجيل أنهم ثقبوا عظم صدره بسمار دق في قلبه كما قد يتوهم بعضهم والا لمات في الحال ولما بقي حيا من الساعة الثالثة الى التاسعة كنص انجيل مرقس ولو كان ثقب يديه ورجليه أحدث نزيفا عظيما لما بقي ست ساعات وهو حي ولما كان هناك وجه لتعجب بيلاطس من موته بسرعة (مرقس ١٥ : ٤٤) فالظاهر على هذا ان الدم الذي سال منه كان قليلا وأنه لم يمت بسبب نزف دمه بل مات بسبب ألم العذاب والجوع والتعب واعاقة التنفس بتعليقه فكان الواجب لكي يتم التشابه بين الرمز والمرموز اليه ان تصلب الحيوانات عند بني اسرائيل وغيرهم حتى تموت مثله أو أن يذبح هو بيد تلاميذه قربانا لله لا أن يموت صلبا بيد أعدائه بدون أن يسفك شيء يذكر من دمه . نعم ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٣٤) أن بعض العساكر طعنه بعد ان مات واسلم الروح بحربة في جنبه فخرج منه دم وماء ولكن هذا شيء والذبح شيء آخر كما لا يخفى ولم يخرج منه دم يذكر قبل مماته كما بينا ولم يكن خروج ما خرج منه من الدم سببا في وفاته . اما خروج الدم والماء منه بعد مماته فهو من الوجهة الطبية عجيب غريب وليس تفسيره بالسهل الجلي (١)

ولنبدأ الآن ببيان الغرض الحقيقي من الضحايا والقرابين في الاديان فنقول :—

كان الوثنيون يقدمون هذه القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أنهم ينتفعون بها كما كان يعتقد بعض الامم ان الاموات يأكلون ويشربون فيضعون في قبورهم شيئا من ذلك كثيرا . على ان بعض هذه المعبودات الوثنية كان ينتفع فعلا بأكل بعض القرابين كالعجول والثيران وغيرها فانها كانت تأكل مما يقدم لها من الحبوب والنبات ونحوها . وكانت الكهنة وسدنة الهياكل وخدمة الاصنام تنتفع أيضا بهذه القرابين فيرغبون الناس فيها للاكثار منها وكذلك أيضا كان بعضها يستعمل في الهياكل والمعابد لفرشها واضاءتها وزينتها كما تنتفع الآن نذور العامة

(١) المنار : ألا يمكن أن يخرج من الميت اذا طعن شيء من رطوبات الجوف اذا تفلت الطعنة اليه ؟ وهذه الرطوبات قد تكون مختلفة اللون والمادة

لأضرحة الأولياء والقديسين فتضاء بها وتفرش ويأخذ منها الخدم ما يلزم لمنازلهم ولكن الأديان الصحيحة لم تأمر بالقرابين لأن الإله يتنعم بها — حاش لله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وإنما أمرت بها هذه الأديان لفوائد أخرى نأتي هنا على بعضها :—

(١) الفقراء عيال الله فمن نفعهم رضي الله عن عمله وكأنه نفعه تعالى لو لم يكن غنيا عن العالم وكما أن الله تعالى أمر الأغنياء ببذل شيء من مالهم للفقراء سواء كان نقودا أو ملبوسا (١) أو حبوبا أو ثمارا أو أي مطعوم آخر أو مشروب كذلك أمر بإطعامهم أنواع اللحوم فإنها أشهى إلى نفوسهم وأبعدها عنهم. وإنما أوجب الإسلام في كفارة بعض جنايات الحج ذبح الذبيحة قبل إعطائها الفقراء ولم يبح إعطاءها لهم بدون ذبح ليتيسر توزيعها على عدة فقراء بدل اختصاص فقير واحد بها وليقطع بذلك كل أمل الذابح في عودتها إليه واسترداده من الفقير بمال أو بدل أو غير ذلك وليقطع أيضا أمله في الانتفاع بها وهي عند الفقير بركوب أو نسل أو لبن أو وبر أو صوف أو غير ذلك فيكون التصدق بها تاما وخالصا لوجه الله تعالى وليضطر الفقير أن يأكل منها هو وولده وأهله فإنها إذا أعطيت له حية فإنه يبخل بها على نفسه ويحرم أهله وولده من أكلها حبا في إبقائها أو بيعها أو كنز ثمنها فيبقى هو وأهل بيته محرومين من أكل اللحم طول حياتهم وهو من أشهى المأكولات وألذها وأكثرها تغذية وأبعدها عن الفقراء والتوسيع عليه وعلى أهله أمرنا بذبحها ولتكثر تربية المواشي والأنعام والانتفاع بها وهي أنفع الأشياء للناس خصوصا في الأزمنة القديمة ولتتسع أيضا دائرة التجارة فيها فيربح منها التجار الأغنياء منهم والفقراء قال تعالى « لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق »

فإن قيل — ولماذا لا يعطى ثمن الذبيحة للفقراء في الحج بدل الذبح ؟ — قلت ذلك لقلة النقود بين العرب وعدم انتشار استعمالها بينهم في ذلك الزمن لذلك كان أكثر تقدير أنواع الزكاة في الإسلام بالأعيان كالغلال وغيرها

(١) إشارة إلى قوله تعالى (أو كسوتهم)

لا بالنقود وأيضا فان الفقير إذا أعطى نقودا بدل اللحم كنزها أو أنفقها في شيء آخر واما اللحم فانه يضطر أن يأكله هو واهله ولا يحرمهم منه كما تقدم . ومن أحكام الذبح أيضا أن يذكر الذابح اسم الله تعالى على الذبيحة شاكرا له على نعمه وذاكرا أنه لولا أمره تعالى له بالذبح ما جاز له إزهاق روح هذا الحيوان للتمتع به وبذلك ترتفع قيمة الحياة والارواح في نظر الناس فلا يستهترون بها . قال الله تعالى في الحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ولذلك حرم أكل الحيوان إذا لم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غيره تعظيما لأرواح الحيوانات . وقد جعل الله لكل امة منسكا يذكرون اسم الله فيه على ما يذبحون (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام)

(٢) إن الذبائح والقرابين قد تكون عقوبات أو غرامات لمن يرتكب شيئا من الآثام أو من المنهيات كما قال الله تعالى بعد ذكر عقوبة من قتل الصيد وهو محرم (ليذوق وبال أمره) وهذا الامر يظهر جليا خصوصا في ذبائح بني اسرائيل وقرابينهم التي كانوا يقدمونها كفارة لكثير من الذنوب ويحرقونها بالنار فكأنه كان في الشريعة الموسوية ان من يرتكب بعض الذنوب يعاقب عليها في الدنيا بفقد جزء من ماله كالغرامات الموجودة في سائر القوانين المدنية

(٣) إن الذبائح والضحايا يراد بها أيضا تعويد الناس على الاستعداد لبذل المال والنفس والولد في سبيل الله فهي تذكرنا بأكبر حادثة من حوادث الاسلام لله تعالى والانقياد اليه في كل شيء ولو أدى ذلك الى ضياع النفس أو الولد وهذه الحادثة هي إرادة إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده طوعا لامر الله وامتثالا له وذلك أكبر علامات صدق الايمان . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا) ومن اعطى شيئا في سبيل الله فكأنما أعطاه لله تعالى نفسه كما قلنا سابقا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالمؤمن الحقيقي أو المسلم لله هو الذي لا يبخل بماله ولا بنفسه ولا بولده في سبيل الله

لنفع الناس وهم عياله تعالى

فان قيل لماذا فدى الله تعالى ابن ابراهيم بالكبش ولم يكتف بنهيه له عن ذبحه ؟ قلت ليزيل كل شك في نفس ابراهيم ونفس غيره بأنه انما امتنع عن الذبح لضعف عزيمته فتأول كلام الله أو لم يفهمه على حقيقته فأظهر الله تعالى بهذا الفداء أن ابراهيم لم يمتنع عن الذبح لتأويل ضعيف أو اشتباه بل لنهي الله تعالى له عنه نهيا لاشك فيه ولا يقبل التأويل بظهور هذا الكبش الذي بعثه الله تعالى له ليذبحه بدل ابنه . وفي هذا الفداء أيضا اشارة الى ان الله تعالى يتقبل من عباده المخلصين أعمالهم وان لم تتم ويكافئهم عليها بالجزاء العظيم كأنها أعمال تامة متى خلصت نيتهم وصحت عزيمتهم مهما كان العمل صغيرا أو حقيرا تفضلا منه وكرما . وهناك أيضا فائدة أخرى وهي أن يمثل الناس بعد ابراهيم هذه الحادثة على مر الايام بالضحايا ويذكروها بالعظة والاعتبار تنبيها لهم على وجوب تقديم أنفسهم لله كأبيهم ابراهيم الذين سماهم الله مسلمين

(٤) إن الناس بسبب ما يرتكبون من الذنوب يستحقون الهلاك العاجل والمحو من الوجود (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) فهم يقدمون هذه الذبائح اشارة الى انهم يستحقون أن يقتلوا أنفسهم لكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ولولا لطف الله تعالى ورحمته بهم لما تقبل منهم سوى قتل أنفسهم فالذبائح تشير الى الشكر لله والندم على الذنوب والاعتراف باستحقاق عذاب الله ولذلك قال (ولكن يناله التقوى منكم) كما سبق

(٥) ان ابراهيم بعد أن بنى الكعبة بيتا لله دعا الله أن يسوق الناس الى ذريته من اسماعيل الذي أسكنه هناك ، وأن يرزقهم من الثمرات ، وأن يجعل بلدهم آمنا ، فأجاب الله تعالى دعاءه و (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وجلب اليهم من كل الثمرات والخيرات واكثر بلدهم من كل شيء حتى أنواع اللحم كله يأكلونه غريضا أو قديدا . ووجد لذلك مذبح المسلمين ومعبدهم وربما كان لاختبار ابراهيم بذبح ولده في مكة لا في الشام فكرم نسل اسماعيل كما كرم نسل

اسحاق كوعد التوراة (تكوين ١٧ : ٢٠) وقد جاء في انجيل برنابا ان الذبيح هو اسماعيل (١)

فهذه بعض حكم الذبائح والقرابين في الاسلام وغيره من الاديان وأما قول النصارى أنها رمز الى المسيح فقد أريناك ما فيه ونقول أيضا اذا سلم أن معنى الضحايا والقرابين في الاديان القديمة هو ما يزعمه النصارى الآن — وهذا المعنى لم يكن يخطر على بال تلك الامم القديمة كما هو ظاهر من كتبهم — فما فائدة الذبائح والقرابين إذا بالنسبة لهم وهم لم يفقهوا منها ما يفقهه النصارى الآن ؟ ألا تكون لهم لغوا وعبثا كانوا يفعلونه أزمانا طويلة وخصوصا لانهم لم يخبروا صريحا بالمراد منها ولم يعرف ينبيهم هذا المعنى الذي يدعيه النصارى اليوم . ولماذا أبطلت الذبائح في الديانة النصرانية ولم تبق فيها تذكارا للصلب والخلاص مع أنها لو بقيت في النصرانية لكانت أفيد وأظهر من وجودها في الاديان القديمة من غير أن يفهم المراد منها ؟ ولماذا استبدلت الذبائح بالعشاء الرباني في المسيحية ؟ وأي مناسبة بين الخبز والخمر وبين الجسد والدم ؟ ولماذا فعل المسيح العشاء الرباني قبل الصلب مع أنه كان الاليق أن يفعل بعده ليكون هناك معنى لكونه تذكارا له ؟ وإلا فهل يعمل التذكار للشيء قبل وقوعه مع أن المناسب والمعتاد أن يكون بعده ؟

فكلتا الذبائح والقرابين كان يجب عملها قبل المسيح حينما كان الناس لا يفهمون أنها رمز أو إشارة الى صلبه ولم يكن غفران الذنوب حينئذ لاجلها في الحقيقة ثم تركت بعد الصلب حينما كان يسهل على الناس فهم أنها للتذكار ففي الوقت الذي لا يكون لها فائدة ما يجب أن تعمل وفي الوقت الذي يكون لها فائدة تترك وتهجر فما حكمة ذلك يا ترى ؟

---

(١) حاشية : في هذه التوراة ان الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد فالظاهر أن تسميته بعد ذلك باسحاق تحريف من اليهود ليتخذوا بأنهم من نسله ولكراهتهم أن يشاركهم غيرهم من الامم في مزية من المزايا أو أن يختص بها وخصوصا بني اسماعيل والا فان اسحاق لم يكن ابن ابراهيم الوحيد بل كان مسبوقا باسماعيل والاختبار بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذي يوجد غيره فلهذا ولغيره نرجح أن اسماعيل هو الذبيح لا اسحاق

على أننا لا نفهم كيف يكون المسيح كفارة لذنب آدم الذي عم بنيه كما يدعون وذلك لأنه اذا كان ما ينالنا في هذه الحياة الدنيا من المتاعب والمشاق هو جزاء لنا على ذنب آدم فهذا الجزاء لم يرتفع عنا بعد الصلب . وان كان الجزاء سيحصل لنا في الآخرة على ذنب آدم ففي الآخرة كل نفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والا فأين العدل الالهي الذي يكثرون الكلام فيه ؟ فهل من العدل عندهم أن يعاقب الابناء في الآخرة على ما ارتكبه آباؤهم ؟ وهل من العدل أن يترك المسيئون (وهم آدم و بنوه) و يعاقب المسيح — وهو برئ — على ذنوبهم و بدون رغبته وارادته كما هو ظاهر من عبارات الاناجيل في وصف حالته قبل الصلب وحزنه واكتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه (ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس) وقوله وهو مصلوب (الهي الهي لماذا تركتني) فان كان المسيح باعتبار ناسوته — كما يعبرون — غير راض عن الصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره و يصلب بسببه رغم ارادته ؟ الحق أقول انكم أردتم أن تفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعتم فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم الى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب ابيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم . وأين تضحية الذات في سبيل نفع الناس التي تزعمون أن المسيح علمكم اياها وتطنطنون بها ؟ واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لانه مولود من مريم العذراء ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في ذنب أبيه فهو أيضا محتاج للكفارة مثلهم واذا يكون غير طاهر ولا معصوم من الذنوب كما تزعمون لانه (ابن الانسان) وناسوته مخلوق من العذراء بمقتضى التولد الجسداني وان كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره وكلنا من نسل آدم ؟ وكيف اذا يعاقب بغير رضاه من أجلنا وهو برئ من كل ذنب ؟ فما بالكم ياقوم تدعون أنكم تعرفون معنى العدل الالهي وحده كم وأنتم في الحقيقة لم تدركوا شيئا من معناه ؟!

العدل هو عدم نقص شيء من اجر المحسنين وعدم الزيادة في عقاب المسيء

مما يستحق فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الاجر ولا زيادة في العقاب وعده

المحاباة ومعاملة جميع الناس بالمساواة (١) فلا ينافي ذلك أن يزيد الله تعالى أجر المحسنين تفضلا منه تعالى وكرما ، ولا أن يعفو ويغفر للمسيء رأفة منه ورحمة . ولكن من الجمع بين العدل والعفو أن لا يضيع حقا من حقوق الآخرين الا برضاهم ، وأن لا يخص به فردا دون غيره من عبيده ، بل إذا عفا عن أحد منهم بسبب ما ووجد هذا السبب بينه عند غيره عامله بالمثل لضرورة المساواة بين العباد في المعاملة والجزاء الاخروي . ومنه أيضا أن لا يساوي بين المحسن والمسيء في الثواب بل لكل درجات فعفوه تعالى عن المسيء يقابل اعطاء المحسن زيادة عما يستحق من الاجر ولكن لكل منهما مقام معلوم في الآخرة فلا ظلم في العفو عن المسيء كما أنه لا ظلم في زيادة أجر المحسنين . فهذا هو معنى العدل والغفران اللذين ظنوهما ضدين لا يجتمعان الا بطريقتهم العجيبة الملفقة ودعواهم أن لا غفران الا بصلب البريء (المسيح) وسفك دمه ، فوقعوا بذلك في شر مما فروا منه على أن دم المسيح في الحقيقة لم يسفك كما بينا سابقا

ولا ندري كيف اشترطوا وجوب سفك الدم ، للغفران وغضب الارض به إرضاء لالههم الذي يحب الدم كثيرا كما يزعمون ، وفاتهم أن ما سفك من دم المسيح كان قليلا جدا لا يكفي للموت ولم يكن هو السبب فيه ولذلك لم يذكر في الاناجيل أن دمه فاض على الارض أو خضبها كدم الذبائح التي يزعمون أنها رمز له

وإن كان مجرد الموت يكفي للغفران فجميع الناس يموتون مع شيء من الالم قليلا او كثيرا بحسب الاحوال فلم لا يكفر موت كل شخص عن ذنبه ؟ ومن أين لهم اشتراط هذا الشرط (أي وجوب سفك الدم) للغفران ؟! وما هذا التحكم في معنى العدل الالهي وهو ما لم ينطبق على العقل ولا على اللغة . فان كانوا أخذوا هذا الشرط من وجوب الذبائح في الشرائع الالهية السابقة للمسيح فقد بينا لك حكمة الذبح فيها . وكان الواجب عليهم أن يشترطوا أيضا إحراق

(١) العدالة المعاملة والمساواة ومنه قولك هذا الشيء يعدل هذا اي يساويه والنظر النقص كذا يستفاد من كتب اللغة وقواميسها ونصوصها

الكفارة بالنار لان القرابين كانت تحرق بها كما هو معلوم من التوراة . اما العدل الالهي الذي خاضوا في بيان معناه فقد بيناه لك هنا بما ينطبق على قواعد اللغة والعقل ويتفق مع ما جاء في الكتاب العزيز .

فكما أن الله تعالى يوصف بكونه عادلا أو حكما عدلا فهو كريم غفور رحيم منتقم جبار شديد العقاب خافض رافع معز مذل قابض باسط أول آخر ولم يقل أحد من العقلاء إن القائل بهذه الصفات قائل بالمتناقضات أو الاضداد . وهاك بعض ما جاء في القرآن الشريف في هذا الموضوع وهو الذي يتفق مع العقل الصحيح والحكمة . قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون * ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة (١) ولا هم ينصرون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

الدكتور

محمد توفيق صدقي

---

(١) اما الشفاعة الثابتة في القرآن فهي ضرب من ضروب التكريم لبعض عباد الله الصالحين المقربين بأعمالهم فيأذن لهم فيتكلمون ويدعونه في وقت ترتعد فيه الفرائص وترجف القلوب (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) فالشفاعة هي تكريم للشافع ولا تنفع في الحقيقة أحدا من المشفوع لهم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) اه من الاصل وهذه الآية نزلت في الكفار

انا لله وانا اليه راجعون

﴿ المصيبة الجلى بشقيقنا الشهيد الحسين آل رضا ﴾

يعز علي ياحسين ان أسمع لك نعيا ، وأن أرثك مبكيا مرثيا ، يعز علي ياحسين أن اكون أنا الذي يعزى عنك ، وأنت أنت الذي كنت اود أن تعزى عني ، يعز علي ياحسين ان لايمر عشر المحرم من هذا العام ، الا وأنت الشهيد الذي يجدد لنا ذكرى جدنا الحسين عليه السلام ، يعز علي ياحسين ان تورث في المنار ، وقد كنت أرجو أن ترث المنار ، يعز علي ياحسين ان تقتصر في ريعان شبابك ، وعنفوان قوتك ، وأول العهد بتحقيق رجائي ورجاء الامة فيك ، فلئن بكيتك فأنت أحق الناس ببكائي ، وأجدرهم ببثي وحزني ، للصفات والمزايا التي اجتمعت فيك ، وما كانت ولن تكون لسواك ، فأنت أخي الشقيق ، وتلميذي النجيب ، وولدي البار ليس في أخوتي ولاسائر أهلي من هو أقرب الي منك ، ولم أعن بتربية أحد ولا تعليمه كما عنيت بك ، على ما آتاك الله تعالى من سلامة الفطرة ، وعلو الهمة وذكاء الفطرة وشرف النحيزة ، وعزة النفس ، والميل الى معالي الامور ، والعزوف عن سفسافها

الا إن مصيبتي فيك أيها الشقيق العزيز لأكبر من مصيبة أمك الرؤم ، ولكنها ليست بأكبر من مصيبة أمك العقور ، المبتلاة في ولدها بالعقم أو العقوق ، تثكل البار منهم قبل أن تجني ثمرة خيره وبره ، ويسعر العاق فتتجرع الحميم والغسلين من عقوقه وشره ، فان بكيتك معها ، فان مصيبتي بين مصيبتيها ، وان العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وانا على فراقك ياحسين لمحزونون ،

ولو شئت ان أبكي دما لبكيته عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

فان كان رزؤك كبيرا فالله اكبر ، وان كان الرجاء فيك عظيما فالرجاء في الله أعظم ، فلله ما اعطى ولله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، فهنالك الملتقى انشاء الله تعالى ، فانت في قوة إيمانك ، وسلامة قلبك ، وعظم إخلاصك ، وطهارة شبابك ، وقيامك بالواجبات ، وتنزهك عن الفواحش والمنكرات ، بل ترفعك عن مواقع

الدنايا والمغويات ، وبما رزقك من الشهادة ، وما حباك به من حسن الخاتمة ، جدير بأن تكون في مقعد الصدق ، من حظيرة القدس ، وهذا أعلى ما يعزينا عنك

ان الله جلت حكمته ، وتقدست مشيئته ، قد امتحن قلوبنا بخطبك ، وابتلى إيماننا برزئك ، فأرجو أن أكون من الصابرين على قضائه ، المستحقين لصلواته ورحمته ، الشاكرين له ما أنعم به من صدق الايمان ، وقوة الارادة ، واتباع هدي الكتاب والسنة ، فقد جاءتني الصدمة الاولى وانا بين صحبي ، فملكت بفضله تعالى نفسي ، وحبست مجاري الدمع من عيني . وربطت على قلبي وكاد يتصدع بين جنبيّ ، وعقدت جلسة لجنة مدرسة الدعوة والارشاد ، ولم أشعر بمصابي احدا من الاخوان ، وإنما اذكر هذا تحدثا بالنعمة ، ورجاء ان اكون أهلا للاسوة الحسنة ، فاجعل اللهم هذا جهادا في سبيلك ، وسببا لمرضاتك ، وآتنا به ما وعدتنا على رسلك ، وعوضنا خيرا مما أخذت منا فانك على كل شيء قدير

كان هذا المصاب أثرا من شر آثار الفوضى واختلال الاحكام ، وفساد الحكام في البلاد السورية ، وغيرها من البلاد العثمانية ، فقد اشتدت هذه الفوضى في وطننا (لواء طرابلس الشام) في السنة الماضية حتى ترك كثير من الاحداث والشبان الاعمال ، وتدججوا بالاسلحة النارية في عامة أوقاتهم ، وكثر حديثهم في الرجولية باستعمالها والفتك بها ، وزالت من نفوسهم هيبة الحكومة ، واعتقدوا ان القصاص قد نسخ منها ، ولم يبق بين الواحد منهم و بين قتل العمد الا غضبة تعرض له ، أو استياء من أحد يلم بنفسه ، واتفق ان الفقيد صادف واحدا من هؤلاء العجوت الانذال يؤذي بنتا في الطريق فنهره فاستل النذل مديته وهجم بها على فقيدنا وقال له اني أنتظرها لاقتلك انت ، فقبض عليه الفقيد وما زال يعالجه حتى اخذ منه المدية ، واراد ان ينصرف ، فاخرج الشقي مسدسه وأطلقه عليه ست مرات وكان في كل مرة يروغ فتخطئه الرصاصة حتى أصابته السادسة فحملها وذهب الى الدار . وعلم بذلك الاصدقاء في طرابلس فبادروا مع طبيب عسكري وطبيب غير عسكري الى الكشف عليه فلم يهتد الاطباء الى الرصاصة وظنوا من غير عمليه جراحية أنها غير قاتلة ، وقد كتب الفقيد اليّ والى شقيقنا السيد صالح بطاقة هذا نصها :

سيدي الشقيقين

« إني احمد الله اليكما ان نجاني من مصاب كبير ، وخطر خطير ، وذلك أن الشقي عبد الوهاب الباشا اطلق علي عيارات نارية اصابني واحد منها في إليتي وقد ضمد الجرح الآن، على انه لم يمض عليه اسبوع ولا بد من بقائي في البيت اياما .

وصل كتابك الاخير وسأجيبك عنه ان شاء الله تعالى . الجميع بخير

٣ المحرم سنة ١٣٣٠ حسين وصفي رضا

فكتبت اليه والى غيره انني لا أطمئن ولا يرتاح قلبي الا اذا استخرجت الرصاصة أو عرف مكانها وانه غير مقتل ، ولكن لم يرجع الا النبي ، فقد تبين أن الرصاصة اخترقت الجنب ووصلت الى الاحشاء ، وفعلت فعلها في الامعاء ، وذلك مساء عاشر المحرم ، وخرجت روحه الطاهرة في صبيحة حادي عشره ، بعد ان نطق بالشهادة وحمد الله انه لم يسفك دما ، ولا اقارف محرما ، وكانت هذه البطاقة آخر العهد بكتابة فقيدنا رحمه الله تعالى

كان للمصاب بالحسين عظيما على كل من عرفه من أهل العلم والفضل والادب أو عرف شيئا من مزاياه العالية ، وما عارفوه على حداثة سنه بالقليلين . وسنذكر نموذجا من تعازيهم في جزء آخر ، ونكتفي هنا بكلمة من كتاب تعزية لاحد أفضل العلم والادب في طرابلس الشام في سوء الحال والفوضى هناك وهو الشيخ محمد نجيب الخفار قال :

« أرفع لمقامكم السامي هذه العريضة وان قلمي يضطرب من شدة هول تلك الحادثة التي أودت بجميع من عرف ومن لم يعرف صفات فقيدكم بل فقيد جميع الناس المرحوم أخيكم السيد حسين رضا من رصاصة اتته من يد أثيمة كلا بل من دولة أثيمة لا تعرف للانسانية حقاً ولا للرعية ذمة يجبرانها على القيام بحفظ أموالهم وأعراضهم وأرواحهم وخصوصاً أهل العلم والفضل والشرف منهم الذين يذهبون كل يوم ضحية تهاملها وتكاسلها عن تعقيب أولئك الكفرة الفجرة الذين يعيثون في الارض فساداً لا يهابون الناس ولا الحكومة بدليل انها أرسلت منذ عشرة أيام أحد ضباطها وديف بك وهو من خيرة رجالها لتعقيب بعض الاشياء الذين عجزت عن إلقاء القبض عليهم نظرا لعدم اهتمامهم بقوة الحكومة وسطوتها فرجع المسكين محمولا على الاكف مدرجا بدمائه الطاهرة بعد أن كان كالاسد لا يهاب من وظيفته أحداً فواروه جدثه ولم تزل الاشقياء للآن زمراً زمراً داخل البلدة وخارجها يقومون بأعمال لا تقبل للانسانية على تحملها وأصبحت الاهالي في اضطراب شديد من هول هذه الاعمال القبيحة ومن جملتها مصيبتنا بالفصن الرطيب والركن العلمي والذكي المفرط المرحوم السيد حسين رضا » الخ